مدخل إلى حوار الثقافات :

يحظى الحوار بين الثقافات والأديان في عالم اليوم بأهمية كبرى ودراسات متعمقة ، كذلك تؤخذ مبادرات بين أقطار وبلدان وأجهزة وأديان متنوعة لبدء حوارات . وفى إطار ذلك يتم عقد اتفاقيات أو توقيع بروتوكولات لهذه الحوارات ، ويتم تشكيل لجان ومجموعات وأمانات لهذه الاتفاقيات تقوم على وضع الأهداف وخطط العمل وجداول الأعمال للقاءات والحوارات . كما يتم إنشاء مراكز لحوار الثقافات لتشجيع ثقافة الحوار والتعددية بين الثقافات والشعوب ، وقد تزايدت في الآونة الأخيرة بدرجة كبيرة خاصة بعد ظهور كتابات وتوجهات صراع بين الحضارات التي تصدى لها صموئيل هنجتون وظهور حركة مضادة لزيادة الحوار والتفاهم بين الثقافات والشعوب والأديان والتي كان من أبرزها وأهمها دعوة الرئيس الإيراني خاتمي بالأمم المتحدة للاهتمام بالحوار والتفاهم مما دفع الأمم المتحدة لإعلان عام ٢٠٠١ عاماً للحوار .

إلا أن ما حدث في ١١ سبتمبر بدد هذا التوجه بما فيه من فظاعة الإرهاب وما تعقبه من اشتداد وضخامة وتخبط مقاومة الإرهاب .

ورغم ما أحدثته ظاهرة العولمة بشكلها الجديد السريع والمتسارع ، بتقنياتها وأدواتها من إلغاء الحواجز والحدود والتقارب الشديد للزمن والتاريخ وتحويل العالم إلى قرية كونية صغيرة وبإحداث تقارب واتصال بين مواطني هذا العالم في هذه الحقبة التاريخية الغير مسبوقة إلا أن ظاهرة العولمة أفرزت أيضاً ظهور النزعات الفردية والقبلية والطائفية والعرقية ، كما ساعدت على انتشار ذلك بشكل لم يحدث من قبل ، مما عاون على انتشار العداء والكراهية ، نظراً لما يشاهده العالم كله فى التو واللحظة للحروب والصراعات وسوء استخدام التقنيات الحديثة في فتك الأبرياء وهدم المدن وإهدار مصادر الطاقة إلى غير ذلك من الدمار والفوضى وردود الأفعال على ذلك بالحروب وبانتهاك حقوق الإنسان ومحاولة الهيمنة على مقدرات الشعوب وحياتهم ومستقبلهم .

وقد كتب عالم الاجتماع رينيه جيرار[1] في كتابه «جذور الثقافة» إجابة على سؤال حول أسباب تحول العنف إلى نمط العمليات الاستشهادية أو الانتحارية ، وهي على أي حال غير محصورة في المنشأ الديني كما يحلو للبعض أن يؤكد ، بل تتجاوزه لتنطلق أحياناً من منطلقات سياسية فيقول إنها ناتجة عن عوامل معقدة ومتشابكة ، وهي وليدة أزمات نجد جذورها على امتداد أجيال كاملة من المعاناة وفقدان الأمل في المستقبل وحالة الإحباط الجماعي ، إنها أيضاً وليدة الفجوة المتسعة

(١) جريدة الحياة ، عدد ٢٠٠٤/٩/١٧ .

بين بلدان الشمال والجنوب هذا بالإضافة إلى التوسع الاقتصادي العالمي وسوء استعمال التطور العلمي والتكنولوجي في البلدان المتقدمة ذاتها وما يدركه نظام السوق والاستهلاك من أزمات اقتصادية واجتماعية وحضارية داخل البلدان» .

وهكذا فإن عالمنا اليوم أحوج ما يكون إلى استعادة رشده ، ليكتشف كيف يبنى على إنجازاته الحضارية عبر العشرين قرناً الماضية . وكما ذكر الأستاذ السيد ياسين في كتابه «الإمبراطورية الكونية – الصراع ضد الهيمنة الأمريكية» أن حوار الحضارات كفهوم وممارسة على السواء أصبح يتصدر قائمة الموضوعات التي تشغل بال «العقل العالمي» niversal Mind موضحاً أنه في عصر العولمة التي من أبرز سماتها ظهور ما يطلق عليه الوعي الكوني» والذي يعني الوعي الإنساني العام والذي زاد في تعميقه الثورة الاتصالية الكبرى ، والتي جعلت المواطنين في كل أنحاء العالم وبغض النظر عن اختلاف دولهم وجنسياتهم وأديانهم يعيشون أحداث العصر العالمية والإقليمية والمحلية في وقتها الواقعي (لحظة حدوثها)[1] » . وقد ظهر ذلك بوضوح أثناء حرب الخليج الأولى التي تابعها العالم لحظة بلحظة .

يحتاج هذا الفعل العالمي أو الوعي الكوني إلى مراجعة شاملة لكل الأنظمة والسياسات والآليات والعلاقات التي أدت إلى الوصول إلى هذا الوضع الكوني ، الذي يحتاج مواجهة جادة عاقلة ، حوارية تعمل على التفاهم والفهم المشترك وصنع السلام والعدالة للإتفاق على القواسم المشتركة بين الشعوب والأجناس والثقافات والأديان .

لذلك فإن الدعوة للحوار وتبادل الرأي والرأي الآخر والتفاهم والاتفاق المشترك بين الناس والشعوب والأجناس والأديان والثقافات واحترام التنوع والاختلاف والتمايز والخصوصية بين هؤلاء جميعاً هي ضرورة ملحة ، وليست رفاهية أو ترف ، بل أن ما يمكن أن يحدث للعالم بدون هذا التوجه الاستراتيجي الكوني وهو حوار الثقافات والحضارات سوف يكون دماراً شاملاً للبشرية جمعاء ولكل ما حققته من إنجازات حضارية عبر العشرون قرناً الماضية .

(١) السيد ياسين : **الإمبراطورية الكونية – الصراع ضد الهيمنة الأمريكية** – القاهرة ، دار نهضة مصر ، ٢٠٠٣ – ص ٢٨٥ .